

المحاضرة السادسة: رواد المقالة.

تمهيد:

منذ نهاية القرن التاسع عشر برزت أسماء كثيرة في كتابة المقالات بمختلف أنواعها، ولقد قاموا بنشر مقالاتهم في الصحف والمجلات، ثم يجمعونها وينشرونها في كتب، ومن أعلام كتاب المقالة الراحلين: شكيب أرسلان، يعقوب صروف، خليل السكاكيني، أحمد أمين، المنفلوطي، الرافعي جبران خليل جبران، المازني، طه حسين، العقاد، محمد حسين هيكل، أحمد فارس الشدياق، أمين الريحاني، مي زيادة، أديب إسحاق عبد الرحمن الكواكبي، محمد عبده... وغيرهم.

وهناك أسماء كثيرة برزت بعد منتصف القرن العشرين منهم الكتاب والأدباء والصحفيين والعلماء ومن أمثالهم: توفيق الحكيم، أحمد زكي، زكي نجيب محمود، مارون عبود، أحمد بهاء الدين، كامل زهيري محي الدين صبحي، يوسف إدريس، رجاء النقاش، عبد العزيز المقالح... وغيرهم، أكثر ممن نذروا أقلامهم للكتابة المقالة الأدبية والصحفية، ولا يمكن حصرهم جميعاً لوفرتهم، لذا نركز على التعريف ببعضهم فقط.

أولاً - أحمد فارس الشدياق (1805-1887م).

يعد من أبرز الأدباء العرب في القرن الماضي، ولد في قرية عشقوت في لبنان، ثم درس في مدرسة عين ورقة وانتقل إلى مصر تحت رعاية الإرسالية الأمريكية أين قام بالتعليم وكتب في جريدة "الوقائع المصرية"، ثم أرسل إلى مالطا ليصحح ما في مطبعتهم. انتقل بعدها إلى لندن ليشرّف على ترجمة التوراة ثم إلى باريس أين طبع كتابه "الساق على الساق فيما هو الفاريق"، وهو في أصله ترجمة ذاتية له، وهناك التقى أحمد باشا - باي تونس - الذي دعاه إليها حيث أقام هناك واعتنق الإسلام وأصبح رئيساً لتحرير جريدة "الرائد التونسي" وذاع صيته.

ثم استدعاه السلطان عبد المجيد إلى الأستانة، حيث أصدر صحيفة "الجوانب" عام 1861م، وبها أصدر كتابه "سر الليال في القلب" و"الإبدال" * و"الjasوس على القاموس" و"الواسطة في معرفة أحوال مالطا" * و"كشف المخبا عن فنون أوروبا"، ولقد تولى ابنه سليم إدارة "الجوائب" من بعده إلى أن توقفت

عام 1884، وهو الذي جمع مختارات من الجوانب في سبع مجلدات أسماها "كنز الرغائب في منتجات الجوائب".ⁱⁱ ، ولقد ساهم مساهمة فعالة في تطوير اللغة الصحفية الحديثة، كما صقل العديد من المصطلحات الحديثة مثل عبارة الاشتراكية التي أضافها إلى اللغة العربية.

ويصفه أحمد حسن الزيات بأنه كان «متضلعا في فنون الأدب متصرفا في فنون الإنشاء من هزل وبحوث ووعظ وأدب وسياسة حافظا لمفردات اللسان، بصيرا بمذهب البيان، يجيد النظم والنثر، وكان أسلوبه منسجم التراكيب متساوي المعاني، موفور الازدواج، شديد الإطناب، كثير الاستطراد ظاهر المبالغة»ⁱⁱⁱ

ثانيا - مصطفى لطفى المنفلوطي (1876-1924م).

يعد من أكثر الكتاب جذبا للقراء في بعض المراحل العمرية، ولد بمنفلوط من قرى صعيد مصر سنة 1876م في بيئة دينية، وكانت أسرته تتولى نقابة إحدى الطرق الصوفية، أكمل تعليمه في الأزهر الشريف حيث خالط علماء الأزهر، ومال إلى الاتجاه المجدد هناك، وبخاصة الشيخ "محمد عبده"، ثم اتجه للكتابة الصحفية واتصل بالسياسيين من رجال عصره وأشهرهم سعد زغلول الذي قربه منه ورعاه.

لقد كانت ثقافته أزهريه عربية أصيلة، ولم يتقن غير العربية، وأما اطلاعه على الآداب الغربية فقد كان عبر ترجمات يترجمها له بعض المترجمين ثم يعيد صياغتها بأسلوبه الخاص كما فعل في كتاب "ماجدوليني"^{iv}، ويعد المنفلوطي من أهم الكتاب المجددين، حيث نقل اللغة من التكلف والسجع إلى اللغة السلسة والتصوير الفني عنده «لطيف مشرق لا تقعر يستثقل فيه، ولا زحرفة تستهجن يمجهها الذوق».^v

وفي مجال فن المقالة صدر للمنفلوطي كتاب "النظرات" وهو مكون من ثلاثة أجزاء، وكتاب "العبرات"، يتكونان من مجموعة مقالات تقدم خلاصة لآرائه وتجاربه في الحياة، والحقيقة أن المقالات التي جمعت في الكتاب الأول -النظرات- نشرها في جريدة "المؤيد"، في حين محتوى كتاب "العبرات" هو مجموعة قصص مقتبسة عن الفرنسية، إضافة إلى هذين الكتابين خلف كتب منها "في سبيل التاج"* و"الشاعر"* و"مجدولين"* و"الفضيلة".... وغيرها.

ثالثا - يعقوب صروف (1852-1927م).

ولد في قرية الحدث بلبنان، ودرس في الجامعة الأمريكية لبيروت وبعد تخرجه عمل في التدريس في المدارس الأمريكية في صيدا وطرابلس لمدة ثلاثة سنوات، ثم أسس مجلة "المقتطف" مع فارس نمر سنة 1876م، والتي نقلها إلى مصر سنة 1888م، كما أسس جريدة "المقطم" مع شاهين مكاربوس ولقد قدمت جريدة "المقتطف" دورا هاما في خدمة الثقافة والعلم والأدب نحو نصف قرن.

لقد كان يعقوب صروف من المجددين واهتم بنشر الحقائق، حيث امتاز أسلوبه بالإيجاز والدقة العلمية والفكر الواضح واللغة السليمة والسلاسة، حتى إن الأدب أفاد فائدته النفيسة من جانب القصر والتحقيق، لأن الأدب في ذلك الزمن كان أحوج إلى قصر العبارة وتحقيق المعنى، وكان كلاما لا مغزى له ولا روح، ولا غاية له وراء الألفاظ المرصوفة والجميل المحفوظة والتزييق الذي لا يرضاه ذوق الجمال،^{vi} وللكتاب مجموعة من الأعمال صدرت في مجلدات بعضها معرب والبعض الآخر مؤلف منها "سرح النجاح" و"الحرب المقدسة" و"الرواد" و"أعلام المقتطف" و"رجال المال والأعمال" و"نوابغ العرب والانجليز".... وغيرها مما يعكس مكنة الكاتب الأدبية والنقدية.

رابعا- جبران خليل جبران (1883-1931م).

ولد جبران في بشري بلبنان وانتقل مع أسرته إلى الولايات المتحدة عام 1895م ورجع إلى بيروت حيث درس في مدرسة الحكمة، وانتقل إلى باريس وتأثر بكتابات وليم بليك وفلسفة نيتشه، ثم أسس الرابطة العلمية سنة 1920 مع ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وعبد المسيح حداد ووليم كتسفليس ورشيد أيوب وندرة.

كان جبران رساما موهوبا، وكان يكتب باللغتين العربية والانجليزية، ويتسم أسلوبه بحرارة العاطفة وجنوح الخيال والإيقاع الموسيقي، حيث تأتي جملة موافقة لموسيقى أفكاره، ويكتب دون تقييد بأصول السجع والتوازن خاصة وأنه كان متمردا ثائرا على تقاليد الماضي، وكان أسلوبه ثورة في عالم الأدب العربي في القرن العشرين^{vii}، ترك زادا علميا وافرا في مجال الشعر والقصة القصيرة والمقالة منها: كتاب "النبي"، "عرائس المروج"، "الأجنحة المنكسرة"... وغيرها.

